المحاضرة 03:

1-الإطار التاريخي لنظرية النحو الوظيفي:

لم تكن نظرية النحر الوظيفي، النظرية المتفرّدة والسبّاقة فيطرق الاتجاه الوظيفي بل سبقها في ذلك مدارس عدة مهّدت وأسست لبروز هذه النظرية .

وترجع أصول هذه النظرية إلى مدينة أمستردام الهولندية، والتي أرسى أسسها وقواعدها العالم اللغوي "سيمون ديك "، من خلال أبحاث متعددة كانت نقطة انطلاق وضع بها الإطار العام النظري والمنهجي لهذه النظرية، حيث قدّم الصياغة الأولية العامة للنحو الوظيفي سنة 1978م، وأرسى أسس النحو الذي يقترحه، ولهذه النظرية نماذج له عديدة متعاقبة، وهي نظرية تستجيب لشروط التنظير والنمذجة، وانتقلت هذه النظرية إلى أقطار أخرى كبلجيكا، إسبانيا، الدنمارك، انجلترا....، ودخلت هذه النظرية العالم العربي على يد الباحث اللساني المغربي "أحمد المتوكل" وتشكلت في المغرب مجموعة البحث في التداوليات واللسانيات الوظيفية، لتنتقل إلى غيرها من الجامعات العربية في تونس والجزائر وسوريا والعراق....

2-**مفهوم النحو الوظيفي:** يتكون مصطلح "النحو الوظيفي" من مصطلحين هما: النحو والوظيفة.

النحو لغة: وردت "مادة نحا" في لسان العرب بالمعاني الآتية: القصد، التحريف، المِثل، القسم، الجهة ....

أما اصطلاحا: " فهو العلم الذي يُعرف به أحوال أواخر الكلم العربية إفرادا وتركيبا".

الوظيفة: لغة : عرفها "ابن منظور" في لسان العرب (مادة وَظَفَ) الوظيفة من كل شيء: ما يقدر له في كل يوم، من رزق أو طعام أو علف أو شراب، وجمعها الوظائف والوُظف، ووظّف الشيء على نفسه وظّفه توظيفا إذا ألزمها إياه.

أما **اصطلاحا:** فقد اختصر "أحمد المتوكل" مفهوم الوظيفة في مفهومين أساسين هما الوظيفة كعلاقة، والوظيفة كدور:

– **الوظيفة كعلاقة:** والمقصود هنا "العلاقة القائمة بين مكونينأو مكونات في المركب الاسمي أو الجملة ".

– **الوظيفة كدور:** يقصد بالدور "الغرض الذي تسخِّر الكائنات البشريةاللغات الطبيعية من أجل تحقيقه".

– أما المفهوم الاصطلاحي **للنحو الوظيفي** فقد عرفه "محمد مليطان " بقوله : «هو نحو يَعدُّ خصائص اللسان الطبيعي الصورية التركيبية والصرفية والصوتية مقومات غير مستقلة عن الدلالة والتداول ولا يتم وصفها وتفسيرها إلا باللجوء إلى عوامل دالية وتداولية»، وبناء عليه فالنحو الوظيفي هو النحو الذي لا يقتصر على الدور الذي تلعبه الكلمات أو العبارات في الجملة(أي الوظائف التركيبية كالفاعل والمبتدأ ....)، لأن هذه الوظائف لا تمثل سوى جزء من كل تتفاعل مع وظائف أخرى مقامية أو تبليغية (هي الوظائف الدلالية والتداولية)؛ لأن الجانب التداولي ما هو إلا نتاج علاقة ربط البنية بالمقام الذي أنجزت فيه.

3-موضوع نظرية النحو الوظيفي: موضوع هذه النظرية هو وصف القدرة التواصلية المتمثلة في (القدرة النحوية + القدرة التواصلية)، فهو النحو الذي يصف ويفسِّر الوظائف التركيبية والدلالية والتداولية التي تؤديها الكلمات والعبارات في الجملة.

4-المبادئ الأساسية لنظرية النحو الوظيفي:

تقوم نظرية النحو الوظيفي على جملة من المبادئ أهمها:

أ-الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية هي التبليغ (التواصل): فنظرية النحو الوظيفي لا تفصل بين البنية اللغوية ككل (البنية الصوتية، الصرفية، التركيبية...)، والوظائف التبليغية التي تؤديها، ويترتب على هذا المبدأ ما يلي :

-عملية التواصل تقتضي ثلاثة عناصر أساسية: مُتكلم،مخاطب، وخطابا، يقول المتوكل: «تكون عملية التواصل ناجحة إذا خلا الخطاب من كل ما يمكن أن يحول بين المخاطب وبين تأويله وهو ما يسعى المتكلم إلى تحقيقه في حالة التواصل العادي».

-وظائف اللغة الست التي جاء بها جاكبسون، ووظائف اللغةالثلاث عند هاليداي: (الوظيفة التمثيلية، الوظيفية التعالقية، الوظيفة النصية) تؤدي كلها وظيفة واحدة وهي وظيفة التواصل، فهي أبعاد مختلفة ومتكاملة لوظيفة واحدة، وقد دعم سيمون ديك ما جاء به جاكبسون وهاليداي، وذهب إلى أن عملية التواصل ذات أبعاد مختلفة، بعد علاقي و بعد توجيهي، وبعد إخباري، وبعد تعبيري استثاري تتكامل لتأدية وظيفة التبليغ.

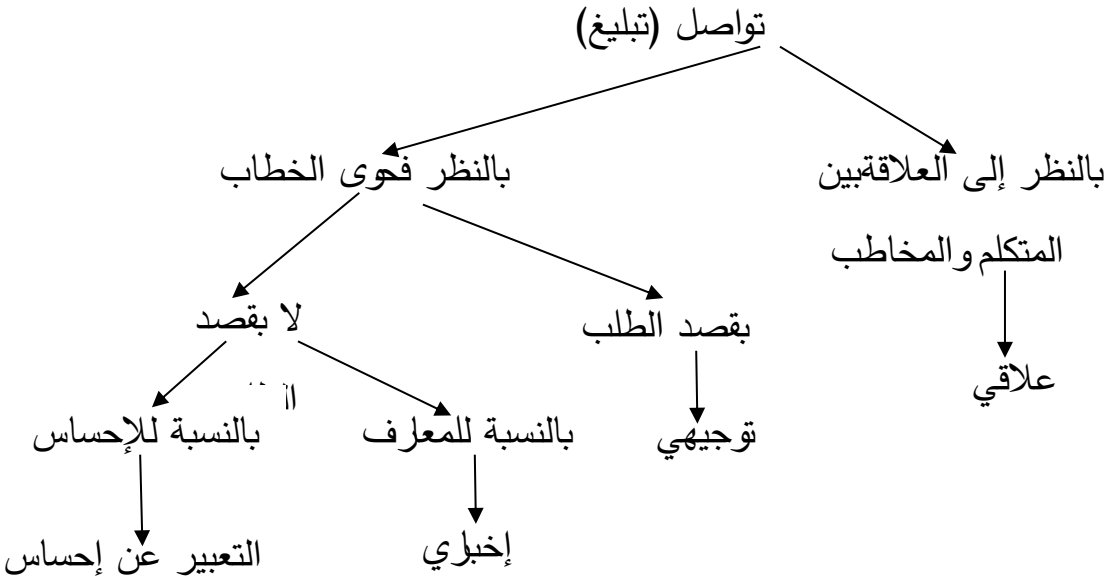

فالتواصل نشاط اجتماعي يتمكن بواسطته المتكلمين من تبادل معلوماتهم التداولية، وذلك إما بالنظر إلى العلاقة القائمة بين المتكلم و المخاطب ويسمى بالتواصل العلاقي، أو بالنظر إلى فحوى الخطاب وهذا التواصل تواصل توجيهي، فيكون المطلوب إما عملا (تواصل أمري) أو قولا (تواصل استفهامي)، أو الإخبار عن شيء (تواصل إخباري) أو التعبير عن إحساس (تواصل تعبيري).

ب- موضوع الدرس اللساني هو وصف القدرةالتواصلية:

وهذا الوصف يتضمن الجوانب الصورية (الدلالة والصوت،والصرف والتركيب) والجوانب الوظيفية التي تتعلق بوظيفة التواصل التي تؤديها اللغة داخل المجتمع البشري، أي الربط بين الخصائص البنيوية للغة والظروف المقامية التي تنجز فيها في إطار القدرة التواصلية الواحدة .

جـ-النحو الوظيفي نظرية للتركيب والدلالة منظورا إليهما منوجهة نظر تداولية :

ذهب اللغويون الوظيفيون في دراستهم للغةمن أن الوظيفة التواصلية تحدد بنية اللغة، وبالرغم من اختلافها في خصائص معينة إلا أن هذه الخصائص هي التي تمكنها من تأدية هذه الوظيفة.

د- السعي إلى تحقيق الكفايات: يهدف البحث اللغوي إلى تحقيق مجموعة من الكفايات منها:

1- **الكفاية النمطية:** ونعني بها أن النحو الوظيفي يطمح إلى أن ينطبق على أكبر عدد ممكن من اللغات الطبيعية، ذات البني اللغوية المتباينة، وإبراز ما يؤالف وما يخالف بين هذه اللغات، والسعي لإحراز أكبر قدر ممكن من التجريد في صوغ المبادئ و القواعد.

2- **الكفاية النفسية:** نقول عن هذا النحو أنه كافٍ نفسيا إذا كان هذا النحو لا يتصادم مع ما تثبته التجارب في مجال اللسانيات النفسية، سواء كان ذلك في مجال اكتساب اللغة وتعلمها، أو في مجال الإدراك وآليات فهم اللغة وإنتاجها، وقد استفادت نظرية النحو الوظيفي من التطورات التي حدثت في هذا المجال، لتتطابق مع نماذجها، ومن أمثلتها ما ذهب إليه "سيمون ديك" في قوله : «تنقسم النماذج النفسية إلى نماذج إنتاج ونماذج فهم، تحدد نماذج الإنتاج كيف يبني المتكلم العبارات اللغوية وينطقها، في حين تحدد نماذج الفهم كيفية تحليل المخاطب للعبارات اللغوية وتأويلها».

3- **الكفاية التداولية:** تتحقق الكفاية التداولية حسب"سيمون ديك" «إذا استطاع هذا النحو أن يستكشف خصائص العبارات اللغوية المرتبطة بكيفية استعمال هذه العبارات، وأن يتم هذا الاستكشاف في إطار علاقة هذه الخصائص بالقواعد والمبادئ التي تحكم التواصل اللغوي».

4- الكفاية الحاسوبية: إن الجيد والجديد في المجال اللساني هو بناء حاسوب يضبط اللغة بمولدات جديدة مما يسهل عملية البحث وهو ما تحقق في نظرية النحو الوظيفي، إذ تم برمجته في الحاسوب، والبرمجة – حسب المتوكل- تعني تحصيل فائدتين، فائدة نظرية وفائدة تطبيقية، الأولى تكمن فائدتها في ضرورة صياغة مبادئها وقواعدها وتمثيلاتها صياغة تجمع بين الدقة والوضوح، والثانية تكمن في إعداد تطبيقات تستفيد منها النظرية كالترجمة، ولتحقيق هاتين الفائدتين شرع مؤسسوا النحو الوظيفي في برمجة هذه النظرية في الحاسوب فظهرت عدة محاولات منها:

- كَوي (kawi) سنة 1979 وضع نموذجا لتزويد الحاسوب اللغوي.
- كونوللي (Connelly) 1989: وضع معجم وظيفي محوسب.

- سيمون ديك (1989): الذي وضع نموذجا حاسوبيا استنادا إلى النحو الوظيفي يفترض فيه أن يحاكي الإنجاز الفعلي والطبيعي لمستعمل اللغة الطبيعية في ظروف تواصلية عادية، كما يحاكي ما يستنبطه من قدرات بطريقة كافية نفسيا وواقعيا.

وهو ما ذهب إليه "أحمد المتوكل" في إطار بناء نحو اللغة العربية الوظيفي حيث سمح لأول مرة بأن يكون للغة العربية نحو قابل للبرمجة في الحاسوب، و هذا لم يكن واردًا من قبل لأنه يتطلب أن تكون للغة العربية قواعد مصوغة صياغة صورية، وتشمل هذه القواعد على عدد كبير من الظواهر اللغوية، وبالتالي يكون هذا النموذج قادرا على القيام بعملية الترجمة من العربية إلى لغات أخرى ومن لغات أخرى إلى العربية.

وبعد هذه المعالجة عند أحمد المتوكل، يتضح أن هذه النظرية خطتخطوة كبيرة انطلاقا من النظريات اللسانية الحديثة بهدف الخروج بنحو عربي وظيفي يساير روح العصر، ويخدم اللغة العربية وقضاياها.

فإذا حقق النحو هذه الكفايات تقول عنه أنه نحو كافٍ.